

أهمية اللغة العربية في عمليتي الاتصال والتواصل.

ونوغي إسماعيل

جامعة محمد بوضياف، المسيلة.

ملخص باللغة العربية:

تكسّي اللغة أهمية بالغة في عملية التواصل بين الأفراد والجماعات، وبها يتم تبادل المعلومات والعبارات والإشارات والرسائل في مواقف كثيرة ومختلفة. واللغة هي الأسلوب الصوتي المسموع والأسلوب المكتوب المقروء، وهو المؤلف من كلمات ذات هيئات خاصة دالة على معانٍ متفق عليها، في سياقات متعارف عليها، واللغة العربية خير مثال يعبر عن ذلك، وهذا ما نجده في القرآن الكريم وما وصلنا من نصوص الأدب الجاهلي شعره ونثره. أحاول في هذا المقال أن أحدد ما أمكن الجانب الحيوي الذي تمثله اللغة، وهو الرابطة القوية بين بني البشر في عملية التأثير والتأثر وتبادل الثقافات.

Résumé:

خلاصة باللغة الفرنسية:

La langue est d'une grande importance dans le processus de communication entre les individus et les groupes, et les informations sont échangées et des phrases, des signaux et des messages dans plusieurs positions différentes.

La langue est une méthode d'audio vocale et écrite lisible, qui est composé des mots avec la fonction d'entités privées de luminosité convenu, dans les contextes de Canonical et arabe. Un bon exemple est exprimé, et c'est ce que nous trouvons dans le Coran et ce que nous avons obtenu à partir des textes de la littérature poésie pré-islamique et de la prose.

Dans cet article, je cherche à affiner ce que pourrait être l'aspect essentiel représenté par la langue, un lien fort entre les êtres humains dans le processus d'influencer et d'être influencé et l'échange interculturel.

Language is of great importance in the process of communication between individuals and groups, and the information is exchanged and phrases, signals and messages in many different positions.

The language is a method of voice audio and written readable, which is composed of words with private entities function of luminosity agreed, in the contexts of canonical, and Arabic A good example is expressed, and this is what we find in the Quran and what we got from the texts of literature pre-Islamic poetry and prose.

In this article I try to Refine what could be vital aspect represented by the language, a strong link between human beings in the process of influencing and being influenced and intercultural exchange.

منطلق: إن اللغة هي وسيلة التعبير عند الإنسان والأداة الرئيسة في عملية التواصل والإبلاغ، بواسطتها يتفاهم الإنسان مع غيره، وبها يعبر عما يختلج في نفسه من أفكار وأحاسيس ومشاعر وعواطف ومواقف مختلفة، وهي أداة التفكير والتصور، وبواسطة اللغة استطاع الإنسان أن يعيش ماضيه وسالف دهره، ويتواصل مع حاضره وراهنه، ويتطلع إلى مستقبله وأمانيه.

تؤدي اللغة دورا حيويا في عملية الاتصال في جميع مجالات الحياة وفي مختلف المستويات، والاتصال بين أهل لغة معينة وبين غيرهم من الأجانب عملية مستمرة، ويؤدي هذا الاتصال إلى التفاعل بين طرفي عملية الاتصال، ومن ثم تبادل الأفكار والخبرات والمهارات.

وما زاد من أهمية اللغة وخطورتها أنها صارت مركز الدراسات الإنسانية في عالمنا المعاصر، كما قال محمود السيد: «إذ إنها تحظى باهتمام علماء متعددي التخصصات، ولم يعد الاهتمام بها مقتصرًا على اللغويين والتربويين وحدهم، وإنما انتقلت العناية بها إلى عالم وظائف الأعضاء والطبيب المختص بالجهاز العصبي وعالم الصوتيات وعالم الطبيعة والمهندس الكهربائي وعالم النفس وعالم الاجتماع وعالم

الرياضيات»¹ ويتطلب منا هذا التوجه من حيث العناية باللغة من مختلف ميادين المعرفة أن تكون اللغة المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة، ولا يكون تعليمها مسؤولية خاصة بأفراد معينين، كمعلمي اللغة وحدهم، إنما مسؤولية تعليمها جماعية، ولا نستغرب إذا أصدر المجلس القومي لمعلمي اللغة الإنجليزية في بريطانيا قرارا يقضي بأنه يجب على كل معلم أن يعدّ نفسه لتعليم اللغة الأم حتى لو كان معلّمًا للتاريخ والفيزياء والرياضيات والاجتماع أو غير ذلك من مواد المعرفة، وفي فرنسا يحاسب معلّم الرياضيات على أخطائه اللغوية على المستوى نفسه الذي يحاسب فيه على أخطائه في الرياضيات.

إن اللغة العربية أولى بعنايتنا ورعايتنا من لغة أجنبية أخرى، ليس من أجل أننا نتكلم بهذه اللغة، لكن لأنها اللغة التي اختارها الله سبحانه وتعالى لحمل الكتاب المقدس هو القرآن الكريم.

لا يمكن للإنسان أن يعيش من غير أن يتواصل مع أخيه الإنسان، ومن غير أن يتصل به، لأن هذه سنّة من سنن الله في خلق البشر الذين تميزوا بالعقل واللسان والكلام، ولا تكون هناك حياة سوية ولا توجد إلا نسبيا من غير أن تتوفر المفردات والعبارات والجمل والنصوص اللغوية التي يعبر بها الفرد عن رغباته وإراداته.

حدّ اللغة: لقد خاض علماء كثيرون منذ أمد بعيد عرب وغير عرب في موضوع اللغة من حيث معناها والغرض منها وأهميتها وخصائصها وعلاماتها وحروفها وأصواتها ومقاطعها، ولم يقفوا عند ذلك الحد بل حاولوا البحث في أصلها ومنبعها منذ أن خلق الله سبحانه تعالى الإنسان على وجه هذه البسيطة، ولكن اختلفت وجهات النظر في حقيقة نشأة اللغة الإنسانية لصعوبة العثور على مدونات وآثار

1. محمود السيد "طرائق تعليم اللغة للأطفال" مجمع اللغة العربية بدمشق، المؤتمر السنوي السادس، لغة الطفل والواقع المعاصر، دمشق: 2007م، ص2.

تثبت أقوالهم وآراءهم، وتفصل في المسألة بصورة نهائية. وكان الجدل الذي دار حول نشأة اللغة قد أثار عدة قضايا تعد المحاور الأساسية لنشأة علم الألسنية الحديث، ولكن من الآراء الغالبة أن اللغة توقيفية انطلاقاً من قول الله عز وجل: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} ¹

قال ابن فارس (ت395هـ) في باب القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح: «إن لغة العرب توقيف، ودليل ذلك قول الله جل ثناؤه: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} ² فكان ابن عباس يقول: علمه الأسماء كلها وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس، من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها». ³ قال ابن كثير (ت774هـ): «هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم وهذا كان بعد سجودهم له.... عن ابن عباس، قال: عرض عليه أسماء ولده إنساناً إنساناً والدواب، فقليل هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس...» ⁴ إن من خلال التفسيرين تكون الآية القرآنية بذلك قد قربت كثيراً الإشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي علم آدم أو أوحى إليه هذه المسميات التي يستخدمها في حياته. ثم توالى تعاريف اللغة واشتقاقاتها.

1. البقرة، الآيات 31. 32. 33.

2. البقرة، الآية 31.

3. أحمد بن فارس بن زكريا، الصحاحي، تح: السيد أحمد صقر، دط، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، دت، ص6.

4. أبو الفداء بن كثير، تفسير القرآن الكريم، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية: 1420هـ.

2000م، ص113.

وظهر علماء كثيرون خاضوا في هذا مجال حد اللغة وأهميتها من بينهم عثمان بن جني (ت392هـ) الذي قال في تعريف اللغة: «أما حدّها فإنّها أصواتٌ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم».¹ اقتصر ابن جني في تعريف اللغة على الجانب الصوتي الذي يبرز الحروف عن طريق المخارج الصوتية البشرية، وهذه الأصوات محددة ومنظمة في مقاطع تؤدي معاني مقصودة، وهذه اللغة في حدّ ذاتها هي التي: «يعبر بها كل قوم عن أغراضهم (ج) لَعَّي ولغات، ويقال: سمعت لغاتهم: اختلاف كلامهم».² والأغراض التي يعيش الإنسان لأجلها كثيرة ومتنوعة وهي تستدعي مع متطلبات الحياة، وتوافق مستوى المعيشة والنشاط الذي يقوم به الإنسان في حياته، وتزداد هذه الحياة تعقيدا وصعوبة بتشعب الأهداف والغايات التي يعمل الإنسان على تحقيقها. وجاء في مختار الصحاح للإمام الرازي (ت606هـ): «واللغة أصلا لغِيّ أو لغُوّ وجمعها لغِيّ مثل بُرة وبرى ولغات أيضا... والنسبة إليها لُغويّ ولا تقل لُغوي».³ و(لغِيّ) من اللُغِيّ حذفت منها الياء المشددة الثانية واقتصر على الياء الأولى المتحركة ثم قلبت تاء مربوطة أو هاء السكت. وجاء في المعجم الوسيط: «البُرة حلقة من صفر أو غيره في أحد جانبي أنف البعير للتذليل أو في أنف المرأة للزينة، والبُرة كل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبه ذلك» (ج) بُرات، وبرى، وبرون...⁴ وقال أحمد بن علي الفيومي: «ولغى بالأمر يلغى من باب تعب ولهج به، ويقال اشتقاق اللُغة من ذلك، وحذفت اللام وعوض عنها الهاء وأصلها لُغوة مثال: غرفة، وسمعت لغاتهم أي

1. عثمان ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دط، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، دت، ج1. ج1، ص33.

2. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دط، دار الدعوة للنشر والتوزيع، استانبول، تركيا، مادة لغا، ص830.

3. الإمام محمد بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت: 1987م، ص250.

4. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة برا، ص53.

اختلاف كلامهم»¹ حذف اللام هنا هو الألف المقصورة في (لغى) وعوض عن الألف المقصورة بالتاء المربوطة أو هاء السكت فصارت (لغة أو لغه).

وقال ابن خلدون (ت808هـ) في حذّ اللغة كذلك: «واعلم بأن الخط بيان عن القول، كما أن القول والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعاني فلا بد لكل منهما أن يكون واضح الدلالة»² وهذا القول يؤكد على ضرورة وضوح القول والكتابة كي يحصل التفاهم والتواصل والاتصال. ويبدو في تعريف ابن خلدون إدراكه للجانب النفسي للإنسان في عملية الكلام أو في تأدية الفعل الدلالي. واضح أن ابن خلدون أرسى منذ نهاية القرن الثامن الهجري قواعد علم التربية مؤكداً على ضرورة الإحاطة بالألفاظ ودلالاتها على المعاني الذهنية، وحصر تحصيل تلك المعاني في طريقتين:

1. طريق القراءة بالتّعلم من الكتاب.

2. طريق التّعلم بالمشاهدة والتلقين.

وليس بعيداً عن هذا المعنى ما جاء عند فرديناند دي سوسير اللغوي الغربي الشهير أن اللغة نظام من العلامات التي تعبّر عن الأفكار، وهي حامل المفهوم أو التصور الذهني، وأكد أن: «الكلمات ليست سوى صور سمعية، وأن العلامة اللسانية أو الدليل هي التأليف بين التصور الذهني concept والصّور السمعية images acoustiques»³ من غير الكلام والقول واللغة لا يتم التفاهم بين الأفراد.

وقد تحدث العلماء المحدثون في مجال اللغة عن العلامات والدوال والمدلولات والمعاني وعيّنوا الآثار التي تتركها هذه العلامات في توصيل المعاني وتحقيق عملية

1. أحمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، معجم عربي عربي، دار الحديث، القاهرة: 1424هـ. 2002م، ص330.

2. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: حامد أحمد الطاهر، ط1، دار الفجر للتراث، القاهرة: 1425هـ. 2004م، ص508.

3 - desaussure, cours de linguistique generals, p98

التفاهم، ومن تلك النماذج ما ذكره صالح مفقودة في العلاقة بين العلامة اللغوية ومعناها فهي: «تنجم عن الأثر الذي يتركه موضوع العلامة الأولى في الذهن، وقد تكون المفسرة معنى من المعاني الإيحائية الحاملة لبعض الدلالات العاطفية للصيقة بالعلامة الأولى، أو ترجمة من لغة إلى أخرى، أو سلوكا تثيره العلامة عند المتلقي»¹ هذه العلامات اللغوية من أن تترك أثرا واضحا بين الباث والمتلقي.

أهمية اللغة العربية: لقد تولى الله سبحانه وتعالى حفظ القرآن الكريم بتفاصيله وأجزائه وآياته ولغته العربية، قال الله تعالى: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]² وقال جل جلاله: { بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ }³ وقال عز وجل: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }⁴ إِنَّ اللغة هي الإنسان أو إِنَّ اللغة من أهم خصائص الإنسان التي تميزه عن غيره من المخلوقات الحية، وتجعل له هذه المكانة والمهمة التي خلق من أجلها وهي: الخلافة في الأرض، حتى إنه قيل: الإنسان حيوان ذو لغة. وإن كان الإنسان قد تميز بعقله وتفكيره وقابليته للتطور والرقى والتقدم والحضارة وال عمران فإن ذلك بفضل هذه المزية المعجزة وهي مزية اللغة، قال الله تعالى: { الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ }⁵ إِنَّ أهمية هذه اللغة لا تخفى على مؤمن بالقرآن الكريم وبرسالة الإسلام الخالدة، وقد أدرك هذه الحقيقة علماءنا العرب منذ أمد بعيد؛ منهم على سبيل المثال الثعالبي (ت430هـ) الذي قال: «من أحبَّ الله أحبَّ رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن أحبَّ النبي العربي أحبَّ العرب ومن أحبَّ

1. صالح مفقودة "السيمولوجيا والسرد الأدبي" محاضرات الملتقى الوطني الأول: السيمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة: 2000م، ص321.

2. الحجر، الآية 9.

3. الشعراء، الآية 195.

4. يوسف، الآية 2.

5. الرحمن، الآيات 1. 2. 3. 4.

العرب أحبّ اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب... والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهما من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين...»¹ على الرغم من أن الثعالبي ربط أهمية اللغة العربية بالجانب الديني والتعبدي إلا أنه أشار بعد ذلك إلى أفضليتها وخيريتها على الإطلاق مقارنة باللغات الأجنبية الأخرى، من حيث استعمالها في البحث العلمي والأبحاث المختلفة.

وقال الأستاذ أحمد عراي: «ولقد احتلت اللغة العربية الصدارة لكونها وظفت أساليب وأدوات توظيفاً أثبت مرونتها وأكد دقتها وثراءها وأظهر وفاءها لأعظم كتاب في هذه الدنيا ألا وهو القرآن الكريم، وقدر الله تعالى أن تكون أهلاً لهذا الشريف، فاكسبت بذلك العظمة.»²

ولقد أكد كثير من العلماء واللغويين أن سر عظمة اللغة العربية هو القرآن الكريم الذي أعجز فصحاء العرب في زمانهم، وتحداهم أن يأتوا بمثله أو ببعض منه في مواطن عدة ولكن هيهات، قال الله تعالى: [وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ]³ وقال كذلك: [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ]⁴.

إنّ عراقية اللغة العربية وثراء كينونتها وتعدد مستوياتها التركيبية، تستلزم رسوخ منهجياتها وتأصيلها، وهذا الذي ساعدها على الصمود أمام لغات كثيرة ولهجات

1. أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، دط، بيروت، لبنان. دت، ص2.

2. أحمد عراي "أثر العوارض الصوتية في عملية التواصل" مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، الأبيار، الجزائر، ربيع الأول: 1426هـ. ماي: 2005م، العدد الأول، ص219.

3 البقرة، الآية23.

4 يونس، الآية38.

متعددة، ولقد اعترف بذلك عرب وغير عرب، لأن مكانة اللغة العربية في إقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية وغيرها بادية للعيان، وطبيعة مجتمع المعرفة اليوم يعتمد في أساسه التقني والمعلوماتي الذي يركز في الأساس على اللغة، تتجه فيه المعرفة إلى الرقمية وعناصرها العديدة كالحوسبة والأقمار الصناعية، والرقمنة من رموز وإشارات وبيانات وصور وأصوات.

أكد عدد كبير من العلماء أن تأسيس نموذج معرفي عربي عام أصيل منفتح ومستنير للنهوض باللغة العربية أمر يسير، بالاعتماد على تعريف المصطلحات العلمية، ووضع معاجم متخصصة، ومؤلفات أخرى لرصد المفردات بين المحكيات أو اللهجات والفصحى، وجاء في تقرير حول التنمية الإنسانية في القاهرة ما له علاقة بالتراث العربي: «استحضار إضاءات التراث المعرفي العربي، وإدماجها في لحمة النموذج المعرفي العربي بشكل يتجاوز التفاخر الأجوف إلى التمثل المتأصل لأسباب ازدهار المعرفة العربية لأنها قوام النصوص والمعبر الرئيس عن الهوية».¹

وقال عبد الله أبو هيف في هذا المجال: «اقتربت مكانة المؤسسات الإعلامية في إنتاج المعرفة بمراعاة العربية في العقول والبنى المؤسسية العربية وما يعدّ أساس هذا التراث هو اللغة والاعتبارات اللغوية، ومن نافل القول إن المؤسسات الإعلامية ذات تأثير فعال في تطور الثقافة والعلم والتقانة والاقتصاد والحياة الاجتماعية والوعي الاجتماعي والسلوك البشري برمته».² فلم تبق اللغة مجرد أداة للتواصل والاتصال إنما تجاوزت ذلك إلى تمثيل العلوم المختلفة التي تطلبتها الحضارة البشرية في الوقت الراهن،

1. عدة مؤلفين "وجهات نظر حول تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003م" منشورات مجلة السياسة الدولية بالتعاون مع البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، القاهرة: 2003م، ص27.

2. عبد الله أبو هيف "اللغة والإعلام واعتبارات إنتاج المعرفة" مجلة التعريب، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق: جمادى الأولى 1428هـ. يونيو 2007م، العدد 32. ص97.

وما تبع ذلك من تقدم تكنولوجيا لم تشهده البشرية في العصور السالفة ومنذ الأمد البعيد.

وأثبت الصائغ فائز على أن: « اللغة تساعد وسائل الاتصال الجماهيري في خدمة قضية التقارب البشري، فهي تمنح الوسائل إمكان القيام بمختلف الوظائف الاجتماعية، معرفية كانت أو إيديولوجية، أو حتى مالية، وغيرها من تلك الوظائف»¹ وسبب ذلك أن اللغة عنصر رئيس في وسائل الاتصال وعلومها في الوقت نفسه، وعلى وجه الخصوص إذا تعلق الأمر باللغة العربية التي تتميز ببلاغتها ودقة إبلاغها في وسائل الاتصال والإعلام.

مفهوم الاتصال والتواصل: (communication et intercommunication)

1. عملية الاتصال: (communication)

معنى الاتصال لغة: جاء في المعجم الوسيط: «اتصل فلان: دعا دعوى الجاهلية، وهو أن يقول: يا فلان واتصل إلى بني فلان: انتمى وانتسب إليهم، واتّصل الشيء بالشيء: وصله به.»² وتشترك هذه المعاني كون اتصل ربط شيئاً بآخر وجعل بينهما صلة وقاربة. وقال جبران مسعود: «وصل يصل وصولاً ووصلة وصلة، يقال: وصل إلى المكان أو الأمر، بلغه وانتهى إليه. وصله: بلغه. ووصل الشيء بالشيء: جمعه وربطه.»³ ونقول في بعض استعمالاتنا: اتصلت بفلان أي بادرت إلى الحديث معه أو إبلاغه أو ندائه، . وفي قولنا: اتصل الأستاذ برئيس الجامعة: أي أن المبادرة كانت من الأستاذ في توضيح الهدف من حاجته عند رئيس الجامعة، ولم تكن لرئيس

1. الصائغ فايز، اللغة والتعريب ودور الإعلام، بحث تطبيقي في تجربة الجمهورية العربية السورية، منشورات دار مجلة الثقافة بدمشق، دمشق: 1992م، ص163.

2. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة وصل، ص1037.

3. جبران مسعود، الرائد، ط5، دار العلم للملايين، 1986م، ص161.

الجامعة في هذه العملية يد أو مشاركة أو مساهمة، فكان الأستاذ هو المتصل وكان رئيس الجامعة هو المستقبل أو المتلقي. ومن الجدير بالذكر أنه بإمكان رئيس الجامعة ألا ييدي اهتماما باتصال الأستاذ فلا ينتج عن ذلك تحقيق الغاية التي نشدها الأستاذ.

معنى الاتصال اصطلاحاً: «هو عملية نقل معنى أو فكرة أو مهارة أو حكمة من شخص لآخر»¹ ويقتضي نقل هذه المعاني والأفكار والمهارات وغيرها وجود طرف مرسل وآخر مستقبل ورسالة مكتوبة أو مقروءة.

وتعدّ الظاهرة الاتصالية عملية إخبار وإعلام وتوجيه، تهتم بنقل الخبر من مرسل إلى مرسل إليه، تهتم هذه العملية بتوضيح الخبر المنقول والإبداع في التبليغ، وأحياناً حتى في الإلزام المادي والمعنوي. وتظهر هنا سيطرة المرسل برسالة وهيمنة المبلغ بوصفه في مرتبة عليا ودونية المتلقي بوصفه في مرتبة أقل.

ولا توجد من هنا في العملية الاتصالية فرصة للسؤال ولا للاستفهام إلا ما كان محبواً في ضمير المتلقي وذهنه، ولا حوار يفسح المجال للاستفسار والتعليق وإبداء الرأي أو أي اقتراح. إنها "دوغماتية المعلومات" وإلغاء شعور المتلقي وإرادته ورغبته، وهي ظاهرة يكون فيها المبلغ محمولا على الاسترسال، ويكون فيها المتلقي مكرها على الاستماع.

وقال الأستاذ عز الدين صحراوي: «والاتصال بمعناه العام عملية يتم بواسطتها نشر المعلومات بين أفراد الجماعات اللغوية وفق نظام لغوي ترميزي وعبر قناة تصل المصدر المتلقي، وبهذا عدت عملية الاتصال سبيلا للتعايش الاجتماعي وأساسا

1. محمد عطية، التربية والإرشاد في الخدمة الاجتماعية، ط1، القاهرة: 1966م، ص113.

لتحقيق المساهمة في معرفة الإنسانية حفاظا على الاستمرارية الحضارية.¹ ركز الأستاذ على الأركان التي يعتمد عليها الاتصال، مع ضرورة توفر العناصر المساعدة على تحقيق الغاية من الاتصال وهي العناصر اللغوية المتفق عليها بين أعضاء المجتمع من رموز لغوية وحروف وأصوات ومفردات وجمل وعبارات وفقرات ونصوص. وإذا لم تتوفر هذه العناصر لا يتحقق التفاعل الاجتماعي الذي تفرضه العلاقات الاجتماعية في جميع أشكاله، وتستدعيه الضرورات اليومية للفرد والجماعات حين تعتمد التخاطب والحوار باستخدام اللغة المنطوقة أو المكتوبة.

وقد توزع مفهوم اللغة الاتصالي إلى مجموعة أولى تعنى بالاتصال اللفظي مكتوبا وملفوظا أو مرسوما كالمصقات واللوحات، ومجموعة ثانية تعتمد على اللغة غير اللفظية وهي لغة الإشارة، ولغة الحركة أو الأفعال حين يستعمل الإنسان جسمه، ولغة الأشياء والوسائل التي يستخدمها الإنسان للتعبير عن معان وأحاسيس، كارتداء زي معين أو وضع أشياء في مكان ما، أو تحديد توقيت معين. وتتحدد أهم عناصر الاتصال في رؤية الأستاذ إسماعيل مغمولي في قوله: «والاتصال مجال حيوي وعملية تفاعل مستمرة لا تكون إلا بين طرفين باث ومتلق لتبادل المعلومات والأفكار والمهارات وإيصال الرسائل من شخص إلى آخر مثل ما يحدث بين المعلم والمتعلم في القسم، فالتواصل هنا مباشر ومحدود في آن واحد يتم عبره تبادل الخبرات المشتركة بين المعلم والمتعلم.»² إن وجود طرفي الاتصال وهما الباث والمتلقي من ضرورات عملية الاتصال ثم المادة الاتصالية، فهي بمثابة الأركان التي لا يمكن أن يستغنى عن أحدها.

1. عز الدين صحراوي، العلاقة الجدلية بين المستويات اللغوية والتواصل في ضوء اللسانيات الاجتماعية الحديثة، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف: 2008م، العدد7، ص 36. 37.

2. إسماعيل مغمولي "اللغة ودورها في عملية الاتصال" مجلة الآداب واللغات، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، عدد خاص: 02 جوان 2004م. ص123.

إن مفهوم اللغة في بعدها الاتصالي والإعلامي شامل للمجموعتين في مقارنة بلاغتها وإبلاغيتها، لأن الاتصال اللفظي يختلف عن الاتصال غير اللفظي، وجوهر ذلك هو مكانة اللغة العالية في تحقيق التواصل البشري وإنتاج المعرفة. وتظهر أهمية اللغة المنطوقة وعظمتها في عدم إمكانية قيام عناصر غير لغوية كالإشارات والإيماءات مقامها.

2. عملية التواصل: (l'intercommunication)

معنى التواصل لغة: التواصل لغة من الاقتران والصلة والالتئام والجمع والإبلاغ Communication والإعلام، وأصل كلمة التواصل في اللغة الأجنبية التي تعني إقامة علاقة تراسل وترابط وإرسال وتبادل وإخبار وإعلام. وللتواصل عدة معانٍ تجتمع كلها على التلاحم والتراحم والتفاهم والترابط والتلاقي وعلى العكس من ذلك: التفكك والانقطاع والتباعد والتصادم والتباغض؛ جاء في المعجم الوسيط: «واصله: مواصلةً ووصالاً: وصله، ضد هجره... واصل الصيام لم يفطر تباعاً... تواصلًا: خلاف تصارماً.»¹ ونقول على سبيل المثال في بعض النماذج:

- تواصل الشخصان: اجتماعاً وتفقاً على شيء معين، وهو على عكس تصادماً وتقاطعاً وتدابراً.

- تواصل الصديقان بعد فراق: أي حصل اللقاء والتلاقي بعد مدة غياب غير محدودة.

- تواصلت الأشياء: تابعت وانتظم بعضها خلف بعض ولم تنقطع ولم يحدث فيها فصل.

- تواصلت الدروس في الجامعة: أي استمرت وتوالى وتابع بعضها بعضاً.

- وتواصلت الاستعدادات للانتخابات: أي التحضير لها وتجنيد المشرفين عليها.

1. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة وصل، ص1037.

- تواصل عطاؤه ونواله: دام واستمر ودل ذلك على شدة كرمه.

- تَوَاصَلَ َ الْحَبِيبَانِ : وَاصَلَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ فِي اتِّفَاقٍ وَوِثَامٍ.

- تَوَاصَلَ الْحَدِيثُ : تَوَالَى وَتَتَابَعَ.

ويأتي على خلاف معنى التواصل؛ المكابرة والاستكبار أو ربما قد يؤدي ذلك إلى التكرر والتنصل والتقاطع والاختلاف والتدابير والتباعد وغير ذلك من هذه المعاني.

تعريف التواصل اصطلاحاً: هو تبادل الآراء والأفكار والقناعات والمشاعر بين الأفراد والجماعات عبر وسائط لفظية موجودة في اللغة الإنسانية وقنوات غير لفظية كالإشارات والإيماءات والرموز والعلامات.

ويذهب ويلي وريس willey and rice إلى أن التواصل يكمن في انتقال المعاني بين الأفراد، حيث: « يصبح بقاء الحياة الاجتماعية واستمرارها متوقفاً على انتقال الرموز ذات المعنى وتبادلها بين الأفراد.¹ وعملية التواصل هي أساس العلاقات الإنسانية والتفاهم الإنساني، وهي العملية التي يتم بمقتضاها تكوين العلاقات بين أعضاء المجتمع وتبادل المعلومات والآراء والأفكار والتجارب فيما بينهم.

والتواصل هو ذلك التركيب الذي من خلاله توجد العلاقات الإنسانية، وتنمو وتتطور عبر المكان والزمان، فهو يتضمن النظم التواصلية اللغوية كلها وغير اللغوية كذلك.

ويعدّ التواصل في أساسه عملية اجتماعية لا يقف عند حدود استخدام المستويات اللغوية المكتوبة والمنطوقة فحسب، إنما قد يتحقق كذلك من خلال مجموعة من الأفعال المتعددة التي تساعد الشخصان على التواصل من خلال تبادل الأفكار والمعلومات، ومن هنا يتضح أن المجتمع هو المراقب الذي يعود إليه الفرد في

1. عن محمود عودة، أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر العربية:

كل عملية تواصلية، فالمجتمع هو الذي يحدد لأفراد الجماعات اللغوية الكيفيات اللغوية وغير اللغوية المناسبة التي تتطابق والمواقف التواصلية المختلفة، وهكذا يتبادل أفراد الجماعة اللغوية معلومات محددة أقرها المجتمع وتواضع عليها، وهذا ما أدى باللسانيين إلى تأكيد أن الكلام يؤدي وظائف عديدة في التعامل الاجتماعي، حيث تتعدى وظائفه في المواقف الاجتماعية المختلفة، طبقا لطبيعة كل موقف، حيث يختلف الكلام الملائم لكل منها، وهذا ما شجع علماء اللسان المعاصرين على الاهتمام بالتواصل بشقيه اللغوي وغير اللغوي اهتماما واضحا.

خاتمة ونتائج: أودّ أن أشير في نهاية هذا المقال إلى الفرق بين الاتصال والتواصل، وليس الغاية من ذلك أن أكرر تعريف كل من الاتصال والتواصل في هذا العنصر لأنه سبق لي ذكر ذلك في أحد عناصر هذا البحث، إنما أركز على الفرق الجوهرى بين الاتصال والتواصل والنقاط التي تميز أحدهما عن الآخر، وتجعل كلا منهما يختلف عن الآخر.

قد يعتقد البعض أن الاتصال والتواصل مفهومان لمعنى واحد، إلا أن ثمة فرقا بين هذين المفهومين، ففي الاتصال رغبة من أحد الطرفين باتجاه الآخر، وهذا الآخر قد يستجيب ويتفاعل مع الرغبة أو أنه قد يرفض الاستجابة. أما في التواصل فإن التفاعل أو الرغبة في المشاركة تحدث من كلا الطرفين وتنشط باتجاه تحقيق أهداف معينة. فالتواصل مصطلح يشير إلى علاقة متبادلة بين طرفين، أو بتعبير آخر يشير إلى انفتاح الذات مع الآخر في علاقة حيّة لا تكاد تنقطع أو تتوقف حتى تلتحم وتستمر من جديد. وقد يكون التواصل غير مباشر مثل الاتصال عن طريق الرسالة والبرقية والفاكس ويشترط أن يكون مضمون الرسالة معروفا لدى المرسل والمرسل إليه على حد سواء.

ويعتقد بعض الباحثين أن معنى المصطلحين واحد، لذلك يستعملون كلاهما من الاتصال والتواصل في سياق واحد، مثل ما جاء عند إسماعيل مغمولي في قوله: «والإتصال مجال حيوي وعملية تفاعل مستمرة لا تكون إلا بين طرفين باث ومتلق لتبادل المعلومات والأفكار والمهارات وإيصال الرسائل من شخص إلى آخر مثل ما يحدث بين المعلم والمتعلم في القسم، فالتواصل هنا مباشر ومحدود في آن واحد يتم عبره تبادل الخبرات المشتركة بين المعلم والمتعلم.»¹ فقد استعمل مصطلحي الاتصال والتواصل في تعريف واحد ومزج بين المفهومين؛ ففي الاتصال حيوية وتفاعل، وفي التواصل تبادل الخبرات بين طرفين أساسيين كالمعلم والمتعلم.

وقال الأستاذ عز الدين صحراوي: «حظي موضوع التواصل اللغوي بأهمية بالغة من قبل الدارسين في مجال العلوم التجريبية والإنسانية، إلا أن هذا الاهتمام لم يكن وليد الصدفة يكشف لنا عن حقيقة تكمن في أن الاتصال بوصفه مجالا علميا لم يعد مستقلا بذاته...»² فهذا القول يتناول كلا من الاتصال والتواصل في سياق واحد حتى لا نكاد نفرق بينهما.

وفي الأخير أنوه بأهمية اللغة في عمليتي الاتصال والتواصل في حياة الإنسان ونشاطه، وخاصة اللغة العربية التي حباها الله تعالى من الصفات والمزايا ما جعلها أهلا لحمل آي القرآن الكريم، وقد أشيرَ إلى هذين النوعين بالاتصال اللغوي، والتواصل اللغوي، وهاتان العمليتان في أساسهما عملية اجتماعية، ترتبط بسياقات لغوية اجتماعية معينة ومناسبة، تتطابق مع المواقف الاتصالية والتواصلية المختلفة، ولقد أبدى علماء اللسانيات المعاصرة اهتماما كبيرا بالتواصل والاتصال اللغويين وغير

1. إسماعيل مغمولي "اللغة ودورها في عملية الاتصال" مجلة الآداب واللغات، ص123.

2. عز الدين صحراوي، العلاقة الجدلية بين المستويات اللغوية والتواصل في ضوء اللسانيات الاجتماعية الحديثة، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس. سطيف، العدد7، ص36.

اللغويين، ولكن تبقى اللغة المظهر الوحيد الذي يحقق الغرض التواصلية والاتصالي بين الفرد وجماعته اللغوية من غير منازع. وهذه جملة من الوظائف التي تؤديها اللغة في حياة الإنسان:

- اللغة هي القاسم المشترك بين أفراد الجماعة اللغوية.
 - اللغة أداة للتفكير والتأمل.
 - اللغة رمز لهوية المجتمع وثقافته.
 - اللغة طريقة إنسانية مكتسبة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات، في صورة نظام من الرموز المتعارف عليها.
 - اللغة الشعور بالانتماء للمجتمع الذي يعيش فيه الفرد.
 - اللغة نقل الثقافات والخبرات من جيل إلى آخر.
 - اللغة إشباع الإرادات والرغبات والميولات.
 - اللغة مساعدة الأفراد على التكيف والتوافق الاجتماعي.
- هذا فيض من غيض إذ لا يمكن حصر الدور الذي تؤديه اللغة في حياة الفرد والجماعات لاتساع هذه اللغة وتعقيد الحياة.